

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام والتعايش

إعداد: الدكتور حسن سلمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام والتعايش

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

إن أوضاع العالم المتوترة تستدعي اليوم التعامل بالحكمة، والدفع بالتّي هي أحسن استجابة لأمر الله في قوله تعالى (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً) الإسراء /35

ومتى ما كان التعايش السلمي ممكناً فإن المصير إلى ما سواه جناية بحق البشرية فوق أي أرض، وتحت أي سماء، وعلى أية ملة، (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ...)
الأنفال/61.

والإسلام بما أنه رسالة الله لعباده لصالح دينهم ودنياهم وتحقيق الهداية والعمران فهو أقدر الأديان على وضع الحلول للأزمات المستعصية، وتوفير أجواء تحقق للإنسانية العيش الكريم، فكيف تتأزم الأمور في ظله؟ وهو يأمر بالبر والقسط لكل مخالف في العقيدة، ما لم يقاتل المسلمين في الدين، أو يخرجهم من ديارهم أو يظاهر عليهم الأعداء والمحاربين قال تعالى (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم * لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) الممتحنة /7-9 ، ولن تتحقق الرغبات المشتركة إلا إذا حررنا مسائلنا، وقاربنا بين مفاهيمنا حول القضايا المشتركة، وحددنا مصادرها، ورسمنا أساليب مواجهتها، ومتى توخت الحضارات العدل والصدق، ووفرت الحقوق، ووحدت المواقف والمكاييل، أمكن الانتقال من الصدام إلى الحوار، ومن التناحر إلى التعاذر، ومن التناوش إلى التعايش.

لقد طالبنا الإسلام وفق أخلاقياته وسمو نظرياته إلى معايشة الأديان الأخرى والتساكن معها مهما اختلفت لأن هذا الاختلاف بين الناس أمر حتمي قضى به خالق الناس لحكمة

يعلمها هو جل وعلا، يؤكد ذلك قوله تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) يونس/ 99

وإن من السمات البارزة والمزايا الحميدة لأمة الإسلام أنها تعترف بالرسالات السابقة لها ، وأن نبي الإسلام محمداً صلى الله عليه وسلم قد آمن بما أنزل على موسى وعيسى مما لم يحرفه اليهود و النصارى كما قال تعالى (أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) البقرة/285 . كما أكد القرآن الكريم أن الذي أنزل على موسى وعيسى عليهما السلام هدى ونور للناس قال تعالى(إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ...) المائدة /44.

ورسالة الإسلام الخاتمة هي رسالة مصدقة ومهيمنة على الرسالات والإسلام هو الدين الواحد لكل الأنبياء والرسل لأنه دين الله للناس كافة وإن اختلفت الشرائع والمناهج إلا أن أصل الدين واحد قال تعالى (إن الدين عند الله الإسلام)آل عمران /19.

و القرآن الكريم حافل بالمعاني السامية التي يجب أن تسود البشر لإصلاح أمورهم في دنياهم وأخراهم، ومن ذلك تأكيده على قيم العدل والمساواة والتعاون والسلام بين البشر- وهي قيم ينبغي أن تكون لها السيادة في العلاقات السياسية الدولية- أتى بها الإسلام وسبق غيره بقرون عديدة.

وعالمية الإسلام تكسب التوجهات الإسلامية بعدها العالمي {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً} الفرقان/ 1 ، وقد أمر الإسلام بالتعايش والتعارف { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا...} الحجرات/ 13 ، وأمر بالعدل (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) المائدة /8 ويعتبر الإسلام أن السلام هو السياسة الإسلامية الأصلية التي تمارس داخل المجتمع الإسلامي في علاقاته مع مخالفيه، وهو يفرق في هذا الصدد بين الذين يسالمون المسلمين والذين يقاتلونهم، والاختلاف ليس سبباً للحرب بل إنه كامن في طبيعة الحياة والسلام لا يعني الاستسلام للمعتدين وحتى في حالة الحرب فلها سياستها وآدابها والإسلام يدعو إلى التعايش والحوار كمنهاج لممارسة السياسة، وفي ظلها تنمو العلاقات السياسية والاقتصادية وغيرها من أوجه العلاقات التي تتم في إطار السياسة الدولية.

أما التنافس والتدافع في المصالح والأمر السياسية فلا يعني بالضرورة تصارعاً وقتالاً، إنما يعتبر ذلك من سنن الحياة التي تحقق التوازن والتداول في إطار الفهم السليم لمقاصد الشريعة (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) الحج/40.

وقد عرف النظام الإسلامي أسلوب التعايش وكتابة الوثائق والمعاهدات وسبق اتفاقيات جنيف التي عقدت عام 1948م .

أولاً: مفهوم التعايش :

يعني التعايش في اللغة: الاشتراك في الحياة على الألفة والمودة (المعجم: مادة عيش) وهي على وزن تفاعل الذي يفيد وجود العلاقة المتبادلة بين الطرفين.

وسيراً على المعنى اللغوي تكون كلمة (السلمي) وصف مؤكداً لطبيعة التعايش، وعلى فرض وجود نوع من التعايش غير السلمي يكون الوصف مقيداً يخرج به نوع التعايش غير السلمي ويسود مصطلح التعايش السلمي في الأوساط البدائية في المجال الاجتماعي، كالتعايش بين الأفراد أو المجموعات الإثنية أو القبلية، وانتقل المصطلح من المجال الاجتماعي إلى المجال السياسي في ظل الدولة الحديثة القائمة على أساس التنوع الديني أو الإثني، وما ينتج عنه من صراعات ونزاعات، ثم صار الآن مطلباً دولياً في ظل الصراعات العالمية والدولية.

ومصطلح التعايش السلمي كشعار سياسي يعني البديل عن العلاقة العدائية بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة، ومع هذا ليس هنالك أي مانع للتوسع في استخدامه في ساحة العلاقات الاجتماعية بين أتباع الديانات المختلفة وبخاصة المقيمين في دولة واحدة.

وإذا كان المفهوم يتجه إلى البحث للتعايش بين الاتجاهات المتباينة دينياً أو سياسياً فإني أرى أن الحاجة ماسة لبلورة رؤية مستوعبة حتى لأهل الملة الواحدة المتفكرة دينياً والمتباينة من بعض الوجوه التي تؤدي إلى الاحتراب في كثير من البلدان وخاصة الإسلامية.

وإذا كان الأمر كذلك فإن التعايش السلمي يمكن أن يشمل الآتي:-

1. التعايش بين أهل الملة الواحدة.
2. التعايش بين أهل الملل المختلفة.
3. التعايش بين الدول المختلفة سياسياً.
4. التعايش بين القوى الاجتماعية المختلفة.

وبالرغم من إمكانية اشتغال المفهوم على ذلك لكن يبقى المفهوم السائد الآن –غالباً– هو بين أهل الملل المختلفة والدول المتباينة، ومع ذلك هنالك أسس ومعالص تصلح لكافة الأنواع وبما أن البحث يتركز على التعايش في الإسلام كان لابد من التعرير على طبيعة الرسالات لنقف على طبيعة الرسالة الخاتمة.

ثانياً: طبيعة الأديان والرسالات.

منذ أن أهبط الله آدم إلى الأرض توالى الديانات والرسالات لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، ولتحمل البشرية إلى طريق السعادة والتوافق مع منطق الفطرة، وطبيعة هذه الأديان أنها ربانية والمقصود بذلك ما يلي:

1. أنها ربانية المصدر، فمصدرها هو الله.
2. أنها ربانية الوجهة، فمقصدها هو الله.

وغاية الأديان عبر التاريخ هو:

1. تحقيق العبودية الصحيحة التي تربط العباد بالله.
2. تحقيق الإعمار والنماء في الأرض وفق منهج الله (أي منهج العبادات والمعاملات).

وللوصول إلى هذه الغاية فقد حملت الرسالات الإنسان رويداً رويداً لتصل به إلى منطق الرشد وتحقيق التعارف الإنساني والانفتاح الكوني بعيداً عن الدوائر الضيقة (أسرة /قبيلة /شعب /قوم) قال تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) الحجرات /13 ، ونلمس ذلك في الخطاب الديني على النحو التالي:-

1. انتقل الخطاب الديني بالإنسان من المشاهد إلى الغيب قال تعالى (الذين يؤمنون بالغيب) البقرة/3 وهي السمة البارزة في الرسالة الخاتمة وبالتالي توقف الوحي

والتتابع السماوي المباشر ليكون الكتاب المنزل هو العلاقة المستمرة مع السماء (حاكمية الكتاب) .

2. انتقل به من المحلية إلى العالمية (عالمية الخطاب) قال تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء/107 .

3. انتقل به من القومية إلى الإنسانية فبدلاً من الخطاب ب (يا قوم) تحول الخطاب إلى (يا أيها الناس) وهو أول نداء في القرآن الكريم إيذاناً بالعالمية والإنسانية البقرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة) البخاري ومسلم

4. انتقل به من شرعة الأغلال والأصار إلى شرعة التيسير والرحمة قال تعالى (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) الأعراف/157 (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) البقرة/185 (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً) النساء (28) .

5. انتقل به من المعجزات والبيّنات والبصائر المادية المرتبطة بالرسول وحياته إلى معجزة القرآن الخالدة والقائمة على حقائق العلم وقوة الحجة ومنطق المناظرة والحوار، ليخاطب عقل الإنسان كما يخاطب وجدانه قال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) فصلت/53

وخلاصة القول فإن مفهوم التعايش ينبع من ذات الطبيعة الرسالية بخصائصها المتعددة القائمة على أساس تقرير الحق وتنزيل الأمر وتبصير الخلق بالعاجل والآجل أي (المسيرة والمصير) في تواصل وتعارف إنساني بقصد الهداية والصلاح تصوراً وممارسة وبناءً على ذلك ندلف إلى الحديث عن دعائم العلاقات الإنسانية في الإسلام.

ثالثاً: دعائم العلاقات الإنسانية في الإسلام:

أولاً : التكريم:

أ- التكريم في أصل الخلق قال تعالى (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر و البحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) الإسراء/70 وقال تعالى (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) التين/4

ب- التمييز بالعنصر الروحي (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) ص/72 ، ويبني على ذلك مبدأ الوحدة الإنسانية كمبدأ طبيعي وكقانون ثابت لا يتبدل،

وأنهم أمة واحدة تعيش في أسرة إنسانية واحدة، وتتقوى هذه الوحدة كلما أدرك الناس مقوماتها المتمثلة في: وحدة الرب المعبود ، ووحدة الأصل والنسب من سلالة واحدة، ووحدة الناموس الذي يحكمهم قدرا وشرعا ، ثم وحدة الهدف والمصير والمآل المقدر لهم .

ت- تحريم الاعتداء على النفس الإنسانية بأي شكل من مظاهر الاعتداء.

ث- استخلاف الإنسان في الأرض وتسخير الكون له.

ج- إنزال الكتب وإرسال الرسل لتحرير الإنسان من كافة أشكال العبودية.

ثانياً: الرحمة :

إن رسالة الإسلام رسالة رحمة في مصدرها ومنهاجها ورسولها وحملتها، قال تعالى عن نفسه : (الرحمن الرحيم) الفاتحة/3 ، (ورحمتي وسعت كل شيء) الأعراف/156، وقال عن كتابه: (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) الإسراء/ 82، وقال عن رسوله صلى الله عليه وسلم: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء/107، وقال عن ورثة الرسول وحملة الدعوة : (أشداء على الكفار رحماء بينهم) الفتح/29 والرحمة لا تقتصر على علاقة الإنسان بالإنسان بل تتعداه إلى عالم الحيوان والأشياء والنبات، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من لا يرحم لا يرحم) رواه البخاري، وقال: (لا تنزع الرحمة إلا من شقي) رواه الترمذي وأحمد، وقال: (في كل كبد ذات رطبة أجر) رواه البخاري.

ثالثاً: العدل:

قامت جميع الشرائع السماوية على العدل والقسط، قال تعالى: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) الحديد/25 ، وبالعدل قامت السماوات والأرض، وبه تستقيم أمور الحياة، وبالظلم تنهار الحضارات والأمم، قال تعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان)النحل/90، وقال : (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى) المائدة/8 ، وقال تعالى في الحديث القدسي : (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا...) رواه مسلم ويقول العلامة ابن خلدون (الظلم مؤذن بخراب العمران) ، فالعدل قيمة دينية تتفرع عن قيمة الرحمة التي لا تفريق فيها بأي سبب من الأسباب الدينية أو العرقية أو غيرها.

رابعاً: المساواة:

يولد الناس جميعاً متساوون في أصل الخلقة، وأنهم أحرار، ويظلون كذلك شرعاً ، ولهم حق الفرص المتساوية في التعليم والتوظيف والعمل والأجر والتعويض، ويجب أن يكون التمييز بينهم معتمداً على الذكاء والفتنة والمعرفة والإنتاجية والتفوق، وعلى الفضيلة والاستقامة والصلاح.

وأن المساواة جاء تأكيدها في قول النبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على أعجمي، ولا لأحمر على أسود ولا للأسود على أحمر إلا بالتقوى) رواه أحمد.

وأن المساواة في الشريعة فرع العدل وأحد معانيه.

خامساً: المعاملة بالمثل :

من العدالة في التعامل الإنساني بين الأحاد والمجموعات المعاملة بالمثل، قال تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) البقرة/194 وقال تعالى (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) النحل/126، ويتأسس على هذا المبدأ كثير من الأحكام الفقهية في السياسة الشرعية .

سادساً: التمسك بالفضائل (الفضيلة):

وهي المعبر عنها في القرآن الكريم بالتقوى والإحسان والبر، ومن مظاهرها: الرفق ولين الجانب والعفو والصفح والصبر، وكل معاني الأخلاق ومحاسنها، قال تعالى: (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) فصلت/34، ويندرج تحت ذلك مفهوم التسامح (لكم دينكم ولي دين) الكافرون/6

سابعاً: الحرية:

هي من أكبر مظاهر الكرامة الإنسانية والطريق إلى الإيمان الصحيح والمسئولية، حيث تركت الشريعة للإنسان حرية الاختيار والمشية دون جبر أو إكراه على الدين الحق ,

وتحمل المسؤولية على ذلك ثواباً أو عقاباً ، قال تعالى : (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) الكهف/29 ، (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي...) البقرة/256 ، (لست عليهم بمسيطر) الغاشية/22 ، (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) هود/118 ، (والمقصود بالحرية : حرية الاعتقاد ، حرية التفكير ، حرية الكلمة ، وحرية التصرف والتملك والتنقل والسكن والعمل... إلخ .

وما شرع الجهاد إلا لإزالة العقبات التي تقيمها النظم والحكومات الظالمة التي تكره شعوبها على الاستعباد ومنعها من حرية الاختيار للدين الذي تطمئن إليه .

ثامناً: التعاون:

الإنسان كائن اجتماعي لا يعيش بمفرده دون أن يتعامل معه أخيه الإنسان، ولذلك فإن التعاون أساس في حياة الناس، وجاءت الشرائع لتنظيم كيفية التعامل، وتمنع من الاعتداء فيه، قال تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) المائدة/2، وجعل الإسلام التعارف المفضي إلى التعاون غاية للتنوع القبلي والشعوبي قال تعالى : (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) الحجرات/13 ، فالتعاون أساس التعايش بين الناس في كافة شؤون حياتهم .

تاسعاً: الوفاء بالعهد:

العهد هو الميثاق أو الالتزام الجازم بين طرفين، وقد جاءت الشريعة بالوفاء بالعهد والعقود، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود...) المائدة/1 ، (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً) الإسراء/34 ، (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها...) النحل/91 .

وجعل الإسلام عدم الالتزام بالعهد والوفاء بها من علامات النفاق كما ورد في الحديث (وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر) البخاري ومسلم ، وإن هذه القيمة تعزز الثقة بين الناس، وتقوي روابط التعاون بينهم، ولذلك جاءت الشريعة بالإعلان عن نقض العهد إذا ما شعر المسلمون بالنقض من الطرف الآخر قال تعال: (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين) الأنفال/58 .

رابعاً: مظاهر التعايش السلمى فى الإسلام:

1. الاعتراف والإقرار بالرسول والشرائع السابقة، وجعلها جزءاً من الإيمان، قال تعالى: (أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) البقرة (285).
2. البحث عن المشتركات الدينية والارتكاز عليها، والمتمثلة في قوله تعالى: (قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، و لا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون* ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط، لا نكلف نفساً إلا وسعها، وإذا قتلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون* وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الأنعام/ 151-153.
3. الخطاب والمجادلة بالحسنى في دعوة أهل الكتاب ، قال تعالى: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) العنكبوت/46.
4. إقرار أهل الكتاب على دينهم وعدم إكراههم على الإسلام، (لا إكراه في الدين) البقرة/256.
5. تسمية أهل الكتاب بهذا المصطلح تمييزاً لهم عن المشركين والكفار الوثنيين وغيرهم ورتب أحكاماً خاصة بذلك.
6. السماح لهم بممارسة الشعائر التعبدية .
7. التعامل مع المسالمين منهم بالبر والقسط والإحسان، قال تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين أن تبروهم وتقسطوا إليهم) الممتحنة /8.
8. إباحة الزواج منهم وأكل ذبائحهم وأطعمتهم، وعبادة مرضاهم، قال تعالى (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم، وطعامكم حل لهم والمحصات من المؤمنات والمحصات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ...) المائدة/5.
9. مشاركتهم في الأفراح الاجتماعية، مع مراعات حقوق الجوار منهم.
10. التكافل الاجتماعي للضعفاء والعجزة منهم.
11. القبول بهم في ظل الدولة الإسلامية كمواطنين لهم حقوق المواطنة والتزاماتها.

12. كفالة الحقوق المدنية بما تنظمه القوانين الشرعية .
13. الالتزام بأخلاقيات الحرب عند وقوعها بمنع كافة أشكال العدوان أو الاستغلال، وعدم قتل النساء والأطفال والشيوخ والعباد.
14. حماية الرسل والمبعوثين حتى في حالة الحرب.

خامساً: نماذج من التعايش في التاريخ الإسلامي:

أولاً: نموذج دولة المدينة:

لقد كان إنشاء الدولة الإسلامية في المدينة، وامتداد نفوذها بالتدريج في معظم أجزاء شبه جزيرة العرب في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ثمرة مجهودات كبيرة حربية وتشريعية وسياسية، وكانت حصيلة النشاط السياسي والدبلوماسي مجموعة كبيرة من الرسائل والصكوك والمعاهدات التي تحدد العلاقات السياسية على أسانيدھا من القرآن والسنة النبوية.

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن صاحب رسالة دينية فقط بالمعنى المتعارف عليه حالياً ، وإنما كان أيضاً رئيساً للجماعة الإسلامية الناشئة، التي وضع أساسها بمقتضى الصحيفة والتي يمكن أن يطلق عليها(دستور المدينة) إذ تضمنت تنظيماً واضحاً للعلاقات بين أعضاء المجتمع الإسلامي ورياسة هذه الجماعة، وبينهم وبين من يخالفهم في الدين.

وتعتبر الصحيفة نقلة نوعية في المنظور السياسي، حيث تضمنت من المعاني – على خلفية عالمية الإسلام- عناصر بالغة الدلالة من حيث العلاقات الدولية، فقد تضمنت إطاراً لدول متعاونة على كل ما عرف خيره تتحمل مسؤوليتها فرادى وجماعات في عمارة الأرض وعدم الفساد، وأنه لا إكراه في الدين، وبر من يخالفنا ما لم يعتد علينا في ديارنا أو ديننا، وأن الخلق كلهم عيال الله، وأن الحوار والتفاوض في السياسة أمران واردان.

وهنا نقتبس منها بعض السطور، حيث جاء فيها:

(بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من

دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف).

وعدد الرسول صلى الله عليه وسلم قبائل المؤمنين على هذا النمط، ثم قال: (وأنة لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وإن المؤمنين المتقين على منبغي منهم أو ظلم أو أثم، وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم، و لا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ولا ينصر كافر على مؤمن وإن ذمة الله واحدة).

ثم تحدثت الصحيفة عن اليهود فقالت : وإن اليهود ينفقون ما داموا محاربين، وإن يهود بين عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف (وعدد على هذا النمط قبائل اليهود) ثم استمرت الصحيفة تقول: وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن البر دون الإثم وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم، وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) سيرة ابن هشام: (2/108).

وخلاصة هذه الصحيفة :

1. أن للجماعة شخصية دينية وسياسية ومن حقها أن تعاقب المفسد وتؤمن المطيع.
2. أن الحرية الدينية مكفولة للجميع.
3. الاعتراف بوجود الآخر الديني ككيان ديني وسياسي واجتماعي له الحق في تنظيم حياته الخاصة وفقاً لتقاليدته الداخلية بما لا يتعارض وقواعد النظام العام.
4. إقرار مبدأ اللامركزية الذي يراعي الجوانب النفسية والثقافية للجماعات.
5. طرح مفهوم جديد للأمة يستوعب المخالف في الدين (الأمة بمعناها السياسي).

6. على سكان المدينة من مسلمين وغير مسلمين أن يتعاونوا مادياً وأدبياً وعسكرياً، وعليهم أن يردوا متساندين أي اعتداء قد يوجه لمدينتهم، وهو مفهوم متقدم للمشاركة (أي المشاركة في المغنم والمغرم/ الدفاع المشترك عن المدينة).
7. الرسول صلوات الله وسلامه عليه هو الرئيس الأعلى لسكان المدينة، وتعرض عليه القضايا الكبرى وحالات الخلاف بين الأفراد ليفصل فيها.

فأي تعايش وتساكن واعتراف أفضل مما جاءت به الشريعة الإسلامية.

ثانياً: نموذج الخلافة الراشدة:

لقد سلك الخلفاء الراشدون جميعاً في تعاملهم مع الآخر الديني منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع المخالف، حيث تمتع أهل الكتاب بالحقوق التي كفلتها الشريعة وأقرها النبي صلى الله عليه وسلم لمن جاؤوا إليه في عهده، وأبرزهم نصارى نجران حيث أقرهم الخلفاء على ما أعطاه لهم النبي صلى الله عليه وسلم، وتبرز خلافة عمر رضي الله عنه نمطاً خاصاً في التعامل مع النصارى في الشام (بيت المقدس) الذي وقع معهم اتفاقاً تم بموجبه دخول المسلمين بيت المقدس مع الحفاظ للنصارى بحقوقهم الدينية التي سرت عبر التاريخ الإسلامي، وظل النصارى يحتفظون لهم حتى اليوم بوجودهم هناك.

كما شهدت خلافته فتح مصر والتي برزت معها الحالة القبطية حتى اليوم وفقاً للاتفاق الذي دخل به المسلمون أرض مصر دون اعتداء عليهم أو تصفية لوجودهم، بل تمتعوا بالعدالة الإسلامية أن يكون والى عمر يخضع للمحاسبة لأن ابنه تعرض لأحد الأقباط وقال عمر مقولته الشهيرة التي سرت بها الركبان: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).

كما شهدت فترة الخلافة اتفاق المسلمين مع أهل النوبة في شمال السودان وجنوب مصر والتي أرست اسساً للتعايش بين المسلمين وأهل النوبة، انداح الإسلام على إثرها إلى بعض أجزاء السودان .

ثالثاً: النموذج العثماني :

تعتبر الدولة العثمانية آخر نموذج إسلامي للخلافة، وقد توسعت الدولة الإسلامية في العهد العثماني في كثير من الأراضي الأوروبية وتنوعت في إطارها الأديان من يهودية

ونصرانية كما تنوعت القوميات والشعوب ، وعاشت في ظل الدولة بحقوق وامتيازات عديدة تطورت في ظلها الأنماط الإدارية والسياسية بما عرف في تلك الفترة(النظام الملى)، وهو أن يحكم أهل كل ملة إقليمهم ومناطقهم في إطار الدولة الإسلامية.

وخلاصة الأمر أن التاريخ الإسلامي شاهد وحافل بالتعايش السلمي بين أهل الأديان، ولم يعرف ما عرفته أوروبا من حرب المذاهب الدينية والمذابح الجماعية للمخالفين، وخاصة المسلمين في الأندلس.

سادسا: آفاق التعايش ومجالاته :

1- التعاون في مواجهة الاتجاهات الإلحادية والوثنية التي تنحدر بالإنسان عن آدميته.

2- مواجهة كافة أشكال الظلم والعدوان، ومنع الحروب السياسية ونزع فتائل وعوامل التوتر والتعصب من خلال إبراز قيم الدين الداعية إلى حفظ النفوس والأموال والأعراض.

3- مقاومة كافة أشكال الفساد والإفساد، وخاصة التي تستهدف البناء الاجتماعي من هدم للأسر وإشاعة للفاحشة ونشر للرديلة.

4- التعاون في الكوارث والأمراض الفتاكة التي تفتك بالمجتمعات الإنسانية.

5- إرساء الحوار العقدي والفكري وصولاً إلى الحق والهداية بالتي هي أحسن، لأن ذلك هو مقصود الرسالات والأديان.

6- تطوير العلاقات الاقتصادية بما يحقق المصالح المشتركة دون استغلال للضعيف من قبل القوى.

سابعا: مهددات التعايش :

ونحن نسعى لإرساء دعائم التعايش علينا أن ندرك أن التعايش تعترضه مهددات لا بد من العمل لتجنبها، أهمها ما يلي:

1. الاستبداد بكافة أشكاله ، وانتهاكات حقوق الإنسان ، حيث أنه لا تعايش في ظل الاستبداد والانتهاكات من مجموعة ضد أخرى.

2. الاحتلال والعدوان الذي يعتبر من أكبر مهددات التعايش، حيث إنه لا تعايش مع الاحتلال في كافة الشرائع.
3. انتهاك الحرمات والمقدسات، ونعني بذلك أن التعايش لا يعني السكوت عن الاعتداءات التي تمس الذات الإلهية أو الكتب السماوية أو أنبياء الله وكافة المقدسات.
4. عدم الاعتراف بالآخر عقبة كأداء تحول دون تحقيق التعايش السلمي.
5. خيانة القيم الدينية والثوابت الوطنية تعد من مهددات التعايش.

وفي الختام فإن شعوب شرق إفريقيا بحاجة ماسة إلى إرساء دعائم التعايش، وخاصة في هذه المرحلة التي تعيش فيها نزاعات وصراعات متعددة وتتعرض فيها لتدخل سافر من القوى الدولية، وهي شعوب قد حصدتها الحروب، فهل من سبيل لسلام تنعم به المنطقة؟!.

المراجع:-

1. القرآن الكريم.
2. السنة النبوية.
3. سيرة ابن هشام.
4. أحكام أهل الذمة (ابن قيم الجوزية) .
5. السير الكبير (محمد الحسن الشيباني) .
6. التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم (سو رحمن هدايات) .
7. وثيقة المدينة المضمون والدلالات (أحمد قائد الشيعبي) .
8. الأقليات والسياسة في الخيرة الإسلامية (كمال السيد حبيب) .
9. الحوار من أجل التعايش (عبد العزيز بن غسان التويجري).
10. 10- العالمية الإسلامية الثانية (أبو القاسم حاج حمد) .